● علق بودجورنى وسام لينين والنجمة الذهبية لبطل الاتحاد السوفيتى على صدر بريجنيف فقد.. علقه!.

ثلاثى أضواء المسرح السوفيتى

إبراهيم صالح

●●● المعادلة الصعبة فى العلاقات الدولية لها ثلاثة فروض.

الفرض الأول:

أن من حق كل دولة إحداث تغييرات فى نظامها بما يتناسب معها.

الفرض الثانى:

أن التغيير الداخلى فى أية دولة يؤثر فى علاقاتها الدولية إلى حد ما فى عالم تشابكت علاقاته ولم تعد « الفردية » طابعه.. بل لم تعد ممكنة.

الفرض الثالث:

أنه ليس من حق أية دولة أن تتدخل فى الشئون الداخلية لدولة أخرى، وإن كانت - فى نفس الوقت - يجب أن تواجه أى تغيير فى السياسة الخارجية لتلك الدولة بما قد يؤثر عليها.

والذى أثار تلك المعادلة الصعبة هذه:

●● الفتيلة السياسية التى فجرها الاتحاد السوفيتى، ولم يزد حجمها على سطر واحد فى صحيفة « البرافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى السوفيتى. أعلى هذا السطر إعفاء نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السوفيت الأعلى.. من عضوية المكتب السياسى للحزب. وتناثرت شظايا هذه الفتيلة السياسية فى أنحاء العالم تحدث ردود فعل متباينة. فالاتحاد السوفيتى احدى القوتين العظميين فى عالمنا المعاصر، وما يحدث داخل حدوده لابد أن يكون له أثر.. أى أثر.. خارج حدوده.

ورد الفعل أجمعت على نقطتين. أولاهما أنه لا يمكن - طبقا للنظام السوفيتى - أن يستمر بودجورنى (٧٤ سنة) رئيسا لمجلس السوفيت الأعلى، وهو ما سيتم فيه المجلس فى اجتماعه يوم ١٦ يونيو القادم. الثانية هى ترشيح ليونيد برجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى لهذا المنصب إلى جانب منصب الحالى

لماذا؟

وهذا الاتجاه لم يعد جديدا على النظم الشيوعية فى العالم، لأسباب تتعلق بالعلاقات الدولية. وقواعد البروتوكول. والحرج الذى يحدث عند زيارة رئيس دولة أجنبية لدولة شيوعية. فالبروتوكول هنا يقضى بأن يتعامل مع رئيس الدولة. ولكن المنصب الأقوى والسلطة الفعلية عادة فى يد سكرتير عام الحزب الشيوعى. ومن هنا اتجهت الدول الشيوعية إلى أن يجمع رئيس الدولة إلى جانب منصبه، منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى فى بلده. وهذا ما حدث - وما زال - فى رومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا، رغبة فى توحيد واستقرار التعامل الدولى.

وهناك ملاحظة أخرى.. أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى تجتمع مرتين كل عام.. والاجتماع الأول فى النصف الأول من العام، ويغلب عليه الطابع السياسى.. داخليا وخارجيا. والاجتماع الثانى يعقد فى نهاية العام ويغلب عليه الطابع الاقتصادى حيث تبحث فيه الخطة والميزانية. وهنا نلاحظ فى إبعاد بودجورنى من عضوية المكتب السياسى أمرين.. الأول أنه أبعد فى الاجتماع الأول للجنة المركزية لهذا العام. الثانى أنه تم بعد رحلته إلى أفريقيا. كما تم من قبل إبعاد الكسندر شيليبين من عضوية المكتب السياسى بعد رحلته الى انجلترا. اذن الخلاف سياسى بالدرجة الأولى.. يغلب عليه طابع السياسة الخارجية، إلى جانب الصراع على السلطة داخليا.

الأثر الخارجى

وأيا كانت الآثار الداخلية التى ستترتب على اختفاء واحد من الثلاثى الذى حكم الاتحاد السوفيتى ثلاثة عشر عاما. فهى من شأن الاتحاد السوفيتى وحده. ولكن العالم الخارجى تنتابه حالة من القلق فيما يمكن أن يترتب على ذلك فى السياسة الخارجية، وخاصة بالنسبة لموضوعين رئيسيين. الوفاق بين الشرق والغرب، ثم المحادثات الخاصة بانفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية وهى المعروفة باسم « سولت - ٢ ».

ولكن يخفف من حدة القلق أن السياسة الخارجية لأية دولة - وخاصة دولة عظمى - ترتكز على استراتيجية مصالح عليا، لا تتغير بسهولة مع تغير الأشخاص. ولكن المحتمل هو أن يحدث تغيير فى التكتيك أو الأسلوب.. وفى حدود.

وبالنسبة لمصر؟

● ● هل تؤثر أحداث الاتحاد السوفيتى تلك على مصر؟..

إن الدوائر السياسية المصرية لا ترى داعيا للتعليق ولا مبررا للقلق.

● فلا تعليق..

لأن ما يحدث داخل الاتحاد السوفيتى من شأنه وحده وليس من حق أية دولة أن تتدخل فى الشئون الداخلية لأنه دولة أخرى.. ولا حتى بالتعليق. مصر ترفض ذلك لنفسها. وتأباه لغيرها.

● ولا قلق..

لأن ما يهمنا فى سياسته الخارجية موضوعان رئيسيان.. الأول علاقاتنا الثنائية معه. والثانى موقفه من قضية الشرق الأوسط وفلسطين.

فبالنسبة للعلاقات الثنائية. لا شك أن أحداث الاتحاد السوفيتى وإن كانت مفاجأة للعالم فهى لم تكن مفاجأة للقادة السوفيت، ولا بد أنهم كانوا على علم بها عندما طلبوا لقاء ثانيا بين فهمى وجروميكو لتحسين العلاقات الثنائية وحل المشاكل المعلقة وإعادة العلاقات إلى حالتها الطبيعية. هذا إذن خط رئيسى لا يتأثر باختفاء واحد من القيادة العليا.. كان واردا عند طلب اللقاء.

وبالنسبة لقضية الشرق الأوسط وفلسطين، فموقف الاتحاد السوفيتى مبدئى وثابت ومتطابق تماما مع وجهة نظر مصر فى ضرورة عقد مؤتمر جنيف هذا العام وفى أسرع وقت ممكن، وعودة الحق الفلسطينى فى إقامة دولة مستقلة ووضع حل سلمى لجوانب المشكلة المختلفة، وإقرار سلام دائم وعادل وشامل فى الشرق الأوسط.

٢٩ من أوراق الرئيس السادات

الجليد.. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

إما أن نأخذ القذافى بأفكاره وإما أن يعيدلنا العَلم والنسر ونشيد الله أكبر!

وعند منتصف الليل جاء عبد السلام جلود يعرض آخر ما اهتدت إليه عبقرية القذافى: كما أخذنا عنكم الثورة والميثاق والاتحاد الاشتراكى وعلم مصر والنسر ونشيد الله أكبر، يجب أن تأخذوا النظرية الثالثة والثورة الثقافية واللجان الشعبية.. ومعمر القذافى!

وإلا فسوف تعود ليبيا إلى ما كانت عليه: علمها القديم ونشيدها الملكى..!

وقبل ذلك وبعد ذلك: استقالة معمر القذافى!

وكانت الاستقالة فى رسالة سرية ورفض الرئيس السادات هذه الاستقالة فى رسالة علنية، فقد كان من الواجب أن يبعث باستقالته هذه أو غيرها إلى الشعب الليبى ينظر فيها، يقبلها أو يرفضها تماماً كما ارتضى الشعب الليبى طواعية: ثورة يوليو وميثاقها واتحادها الاشتراكى..

ومنذ ذلك اليوم لم يعد القذافى يهدد بالاستقالات المسرحية..

.. وعاتب الرئيس السادات على أنه كشفه أمام الشعب الليبى!

ورغم الفجيعة فى القذافى وفى جنونه وفداحة الثمن الذى يدفعه الشعب الليبى، بلا ذنب جناه، فى هذه الحلقة ما سوف يبعث على الضحك.

إن رجلاً واحداً سوف يضحك على البعد كثيراً جداً: إنه الشيخ خليفة آل ثان أمير دولة قطر!

وفى اللقاء مع مصطفى الخروبى اعتذر كثيراً عن هذه المسيرة . وأعلن أنهم أصدروا أمراً للمسيرة بأن تتوقف وأن تعود إلى ليبيا .

وصارحتهم بأننى لست ضد الوحدة . وإنما هو القذافى الذى يشكك فى كل شىء أقوله أو أفعله لأنه بتكوينه شكاك ، وأنه بتصوره لهذا النوع من الوحدة غير جاد . وأنه يحاول عن طريق الإذاعة والتليفزيون والصحف الليبية والصحافة اللبنانية التى اشتراها أن يقوم بعملية تزوير لفكر الشعب الليبى ومشاعره الوطنية الوحدوية الصادقة .

ويكى مصطفى الخروبى ويكى الآخران زعيما المسيرة : أخو عبد السلام جلود وابن عمه .

وأكدت لهم أننى مع الوحدة ، ولكنى ضد « فرض الوحدة » أو « الوحدة بالإكراه » .. ثم إن لنا تجربة فى الوحدة مع سوريا وهى يجب ألا تتكرر بعيوبها ..

وأنا لا أبرئ العناصر المصرية من هذا التخريب كله .. ولا أبرئ الصحفى محمد حسنين هيكل حتى هذه اللحظة من تضليل القذافى وإعطائه معلومات كاذبة عن الحالة فى مصر .. وأن كل شىء رهن إشارته وليس عليه إلا أن يجىء وحده على حصان أبيض .. أو أن يدفع أمامه مسيرة من الليبيين أكثرهم لا يعرف لماذا هو يسير إلى مصر .. ولماذا هو يريد أن يخربها ..

ولكن القذافى يعلم .. وهو لذلك يدفع المسيرة ويدفع لها فى ليبيا وفى مصر أيضاً .

ولنجأ يوم ٢٢ يوليو ٧٣ وعند منتصف الليل أبلغونى أن عبد السلام جلود وصل . وأغرب من ذلك أنه يريد مقابلتى لأمر هام .

وكنت عاكفاً على كتابة الخطاب الذى سوف ألقيه فى عيد الثورة . ولم أهتم ما الذى يريده عبد السلام جلود الذى فتح البنوك للمسيرة . ودفع عشرين مليون دولار ..

ثم إننى سمعت من عبد السلام جلود آخر ما عند القذافى ..

وأسمعته أيضاً رأيى فى القذافى . وأننى كشفته تماماً ولم يعد عندى شىء أقوله غير الاستعداد الحقيقى للمعركة . وقد قلت له ذلك صراحة . وقلته فى برقيات رمزية متعددة قبل ذلك بشهور ..

وأيقنت فى النهاية أن القذافى ليس جاداً فى كل ما يقول . وأن الذى يهمنى الآن هو الإعداد والاستعداد للحرب . أما هذا العبث الليبى ، فلم يعد عندى وقت لذلك ، وحتى إذا كان عندى وقت ، فلم يبق عندى صبر ..

ثم إننى لا أريد أن أرفع عينى ولا أن أسد أذنى عن صوت المعركة .. فكل ما عداها : ضوضاء وشوشرة وتراب ودخان . وأنا أريد أن أرى بوضوح ، ما دمت قد قررت بوضوح أن أخوض معركة العمر كله ..

وفى الدقيقة الخامسة عشرة بعد منتصف الليل يحضر عبد السلام جلود إلى القناطر الخيرية !

● ولم أشأ أن أذكر للشيخ خليفة شيئاً من الذى أصابنى بسبب لحم الغزال . ولذلك فهذه الفصقسون يقرؤها لأول مرة ، لأننى لم أقلها لأحد من قبل .

وظللنا فى مناقشة طويلة حتى الساعة الثالثة صباحاً . ما هى الحكاية التى جاء عبد السلام جلود يرويها عند منتصف الليل وقبل الفجر . إنه يطلب منى أن أقبل الوحدة .

■■ وكنت أعلم أن الغرض من هذه الزيارة المفاجئة هو أن أعلن الوحدة الاندماجية فى خطبة ٢٣ يوليو ، لكى يعلنها القذافى فى نفس الوقت أيضاً . كنت أعلم ، ولكنى حاولت أن أثنيه عن ذلك ، وأن أتجاهل هذه الرغبة وفى نفس الوقت أن أرفضها ..

ولما ألقيت خطبتى لم أشر إلى شىء مما أراد ..

وقد أشرت إلى كل ذلك فيما بعد .. أى بعد انتصارات أكتوبر وفى الرسالة المفتوحة التى بعثت بها إلى مجلس الثورة الليبى .. وقلت فيها :

« إن وصول الأخ عبد السلام جلود إلى مصر فجأة وبدون سابق إنذار ، فجر ٢٣ يوليو ١٩٧٣ مطالباً بإعلان الوحدة فى نفس اليوم . لإعلانها فى خطاب العقيد القذافى ، هو موقف غير جدى ..

« وإن وصول الأخ معمر القذافى إلى مصر فجأة وأنا غائب عن البلاد فى رحلة إلى سوريا ، أيضاً ليعرض على أن توقع معاً إعلاناً بقيام الوحدة ، هو أيضاً موقف غير جدى . بل أكاد أقول إنه موقف مسرحى .

« وقد حذرناكم من مخاطر هذا الأسلوب مراراً ، وكنا مع ذلك نواجهه بمحاولة العودة إلى بحث الأمور بشكل جدى ، والوصول إلى صيغة مناسبة . وكنا أحياناً نصل إلى صيغة أو أخرى ثم نفاجأ برفضكم لها ، الأمر الذى يجعلنا ، وبحق ، أن نتساءل نحن عن مدى جديتكم فى طرح قضية الوحدة ، وهل طرحها بهذا الشكل يستهدف حقاً إنجاز الوحدة ، أم يستهدف شيئاً آخر هو فى أبسط الحالات إثارة الخلافات وخلق العقد بين الشعبين المصرى والليبى واتخاذ الموضوع كله ، قضية إعلامية ، ومدخلاً لشن الحملات علينا . ومع ذلك ، لم نكن نيأس ، وحتى بعد قصة المسيرة التى تنصلتم منها عبثاً ، وما خلفته من أجواء ..

« وقد أرسلت إليكم وفداً من كبار مسئولينا ليتم التفاهم والحوار معكم . ولكن لم يكن هناك أغرب وأعجب من الحلول المقترحة منكم والتى حملها وفدنا عند عودته إلى القاهرة ..

« لقد اقترحتم كأحد الحلول أن نأخذ بكل ما هو موجود فى ليبيا وكل ما هو موجود فى مصر !

« وكان رأيى أن هذا الاقتراح بعيد عن إمكانية التطبيق العملى . ففى مصر دولة مؤسسات يمارس من خلالها الشعب المصرى نشاطه الشعبى والتنفيذى . وهو وضع انتهى بمصر إلى استقرار سياسى ذى طابع تقدمى .. وفى ليبيا لجان شعبية لم تصل بعد إلى الصورة النهائية لهيكل السلطة الشعبية أو النظام السياسى ..

« واقترحتم كحل بديل - وفى غمرة حماس عاطفى - أن ترسلوا لى ورقة بيضاء موقعاً عليها منكم تكتب فيها مصر - على حد قولكم - ما تريده ولم يكن فى وسعى أن أقبل هذا الاقتراح لأن الشعب الليبى لا يتقرر مصيره « بشيك » على بياض .. أو لأن مصر ترفض فتقوم أنت بإظهارها فى صورة من تفرض شروطها على شعب شقيق ..

« ثم اقترحتم كبديل ثالث : صورة تحمل معنى التحكيم بين الشعبين المصرى والليبى بأن يستفتى الشعبان على الاختيار بين المشروعين . يقدم كل منا أحدهما ..

« واقترحتم أن يشرف على الاستفتاء أناس محايدون . هم على حد قول العقيد « الأمم المتحدة » ، أو طلبة الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية . أو ضباط صغار غير برجوازيين أو فلاحون أو القوة المعارضة .»

وكان رأيى عدم سلامة هذا الأسلوب . الذى يعطى صورة التنافس بين رأى مصرى ورأى ليبى . وقد يكون بداية لسلسلة من التعصبات ذات الطابع الشعوبى التى لا تتفق مع روح الوحدة . وكان رأينا أن التحكيم هو أن يقع بين الأعداء المتخاصمين ، وليس بين الأشقاء الذين ينشدون الوحدة ..

.. ثم إننى لا أرى دوراً للأمم المتحدة فى تنظيم شئوننا الداخلية ..

وكانت دهشتى فى قمتها من هذا الاقتراح الذى يطلب

من أوراق الرئيس السادات

تحكيم القوى المعارضة، أى أعداء الثورة وبذلك نتاجر بكل ما كسبه الشعب فى كفاحه الطويل..

ولما جاءنى عبد السلام جلود فى القناطر الخيرية. أعاد مرة أخرى ما سبق أن قاله القذافى وأدهشنى ورفضته.

قال: معمر القذافى بعث معى رسالة.

■ قلت: ما هى؟

قال: يقول لك.. ما دامت ليبيا قد أخذت كل ما فى ثورة مصر، فلماذا لا تأخذ مصر ما فى ثورة ليبيا.. لماذا لا تأخذ أفكار القذافى.

■ فسألته: أفكار القذافى؟ وما هى أفكاره؟

قال: الثورة الثقافية والنظرية الثالثة وقطع العلاقات مع الدول الرجعية.. كالسعودية والكويت!

وكان ردى على عبد السلام جلود أن المسافة بيننا كبيرة. وأن تجربتنا أطول وأعمق. وأننى باختصار ليس عندى وقت لهذا العبث..

فعبد السلام جلود لم يأت بجديد فى كل هذا الذى قاله، فقد سبق أن تلقيت رسالة من العقيد معمر القذافى قال فيها:

إن الشعب الليبى قبل الوضع المصرى من الألف إلى الياء، بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر وإنه قبل نشيداً مصرياً هو «الله أكبر.. الله أكبر».. ثم قبل العلم المصرى وقبل الاتحاد الاشتراكى العربى وميثاقه ونظامه الأساسى، وارتضى شعار «حرية - اشتراكية - وحدة».. وقبل شعار «النسر».. بينما أنتم ترفضون كل ما هو ليبى: لا نظرية ثالثة التى هى تفسير وإثراء للميثاق ولا شريعة إسلامية، لا لأن مصر ضد الإسلام، ولكن لأن ليبيا أصدرت بعض قوانين الشريعة، ولم تقبلوا ثورة شعبية لأن الشعب الليبى قد قام بها، ولا رضيتم بثورتنا الإدارية، مهما كانت ضرورية فى مصر لا لشىء إلا لأن ليبيا قد أعلنتها ولا اعتراف منكم بمواقف هذا الشعب الليبى وجهوده التى يعتقد مخلصاً أنها من أجل الأمة العربية..

وهذه الرسالة فيها مغالطات كثيرة..

ولذلك كانت أساساً لكثير من الخلاف وسوء الفهم..

فالشعب المصرى قد اعترف بمواقف الشعب الليبى وثورته، والقول بأننا لم نعترف بذلك حكم فادح لكل ما فعلته مصر ورددته من تأييد لهذه الثورة منذ قيامها..

■■ أما أن ليبيا قد أخذت عن ثورة مصر، وأنه يتحتم على مصر أن تأخذ من ليبيا، فلا أظن أن منطق المقايضة هو الذى يمكن أن يصبح أساساً للتعامل فى هذه الأمور..

ولا يمكن مقارنة أن ليبيا أخذت العلم وشارة النسر والنشيد، بتراث ثورة عمرها عشرون عاماً بمبادراتها وأفكارها ومؤسساتها..

فتغيير العلم - مثلاً - ليس فى صعوبة تغيير نظام الحكم..

ولقد غيرت مصر علمها من أجل الوحدة مع سوريا، دون أن تجد فى ذلك حرجاً.

أما أن ليبيا قد تبنت مبادىء ثورة ٢٣ يوليو

● وجاء فى مصطفى الخروبى، وهو من أحب أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبى إلى قلبى.. واعتذر الخروبى.. وبكى وكذلك بكى أخو عبد السلام جلود وابن عمه.

ومراثيتها فقد كان ذلك أمراً قررته ليبيا بكامل اختيارها - وقد جاء هذا القرار بعد ١٧ عاماً من بدء الثورة المصرية.

أما عن الشريعة الإسلامية فإن دستورنا ينص على أنها مصدر أساسى للتشريع. وليس هناك خلاف على مبدأ الأخذ بالشريعة الإسلامية.

وإن كان النص عبر ١٤ قرناً من تاريخ الإسلام كانت هى اجتهادات المفسرين للشريعة فى كل عصر. وكان من علامات عصور الانحلال: خضوع هذه التفسيرات لمفاهيم أصحاب السلطة السياسية..

ونحن لم نرفض الحوار مع ليبيا. فقد قبلنا تكوين جمعية تأسيسية لوضع دستور دولة الوحدة، وقبلنا أن يكون التمثيل فيها مناصفة بين الظريتين رغم المسافة الشاسعة بين عدد السكان فى كل منهما. وكان معنى ذلك أننا قبلنا أن نعطى الرأى الليبى فى صياغة هذا الدستور نفس الوزن الذى للرأى المصرى تماماً؟

ولقد ذهب العقيد معمر القذافى فى حواره مع وفد المباحثات المصرية إلى حالة من الانفعال والتشنج إلى أن قال لهم: سوف أكفر وأغير علم ليبيا، وأغير كل ما أخذناه عن مصر، وأعيد النظر فى كل شىء، وأرفض الميثاق وأعمل ميثاقاً ليبياً، وأغير الاتحاد الاشتراكى وأعمل اللجان الشعبية!

أما آخر ما قاله عبد السلام جلود، الذى هو صوت سيده القذافى فهو: أن العقيد معمر القذافى يقول لك إما أن تأخذونى بفكرى، أو أتنحى واعمل أنت الوحدة..

أراد أن يكون بطلاً، وأن يكون شهيد الوحدة.

وأنا أصبحت أرى القذافى بوضوح تام. ولم تعد تنطلى علينا أن يتنحى أو يستقيل. أو يترك طرابلس ويذهب إلى الصحراء.. كل ذلك عرفته وفهمته. ولم أعد أجد فيه إلا حركات بهلوانية مورستانية..

وإن كان مستشاره محمد حسنين هيكل قد جاءنى بفكرة لم تخطر لى على بال. فقد قال لى: ولماذا لا تقبل الوحدة مع ليبيا ثم تخلع القذافى؟!

وكان ذلك رأياً لا أخلاقياً.. فأنا بالضبط أحتقر مثل هذه الأساليب فى السياسة والحكم. فأنا لا أرى مسافة بين الأخلاق والسياسة. إن هناك نظريات كثيرة ترى أن السياسة تتنافى مع الأخلاق وأن السياسة، تبيح وتستبيح أى شىء من أجل السلطة... وأن الأخلاق هى حيلة العاجزين. وأن القوى هو الذى يدوس الأخلاق. وأن الأخلاق هى التى تتحنى للسياسة..

وأن ما قاله الفيلسوف الإيطالى ميكيافيللى فى كتابه الشهير «الأمير» من ضرورة أن يكون الحاكم سائلاً بنعومة. وأن السياسة هى فن السفالة الأنيقة فإنى أرفض ذلك.. لأننى أرى أن الوضوح أسلوب. وأن الصدق هدف. وأن النور ضرورة.. وأن الخط المستقيم هو فعلاً أقصر الطرق..

وإن كان ميكيافللى والملايين من تلاميذه يرون أن الخط المستقيم هو أطول طريق بين نقطتين.

وأنا لا أزال أتذكر ما قرأته وأنا صغير من أن حرف الألف «أ» قد جاء فى أول الحروف الأبجدية لأنه مستقيم. وأذكر أن بيتاً قرأته بهذا المعنى يقول:

«ألف» الكتابة وهو بعض حروفها
لما استقام، على الحروف تقدما

■■ وهذا المعنى البسيط هو أصعب ما يواجه رجل السياسة. وقد اخترت هذا الطريق الصعب.. ولذلك رفضت أن أحقق الوحدة على جثة القذافى..

وهذا المستشار نفسه هو الذى قال لى قبل ذلك إننى لو كنت قد اتصلت بالأمريكان وأطلعتهم على قرار طردى للخبراء السوفيت، لحصلت على ثمن فادح لذلك! ولكن الروس أنفسهم اكتشفوا أننى لم أبعهم للأمريكان.. وأن خروجهم من مصر كان قراراً مصرياً تماماً..

وعلى عادة القذافى فى الاستقالات والأعمال البهلوانية التى يرتكبها إثارة للاهتمام أو الخوف أو الشفقة أرسل لى استقالة بعد أن حملته مسئولية هذه المسيرة التخريبية.. وكانت هذه الاستقالة سرية.

فردت عليه فى رسالة علنية أن هذه الاستقالة يجب أن يقدمها للشعب الليبى. وأنه لا دخل لى فى ذلك: ومنذ ذلك اليوم لم يعد القذافى يقدم استقالته لأحد، بعد أن كان من المألوف أن يقدمها ثلاث مرات أو أربعاً كل شهر..

وقد عاتبنى على أننى فضحته. فقد انكشف أمامى كديكتاتور غبى قبيح الوجه..

ولما اقتربنا من نهاية أغسطس أحس القذافى بشىء من القلق.. فقد اتفقنا قبل ذلك على أن يكون يوم أول سبتمبر - الفاتح من سبتمبر - هو يوم الاستفتاء الشعبى على الوحدة الاندماجية.

وأن القذافى فى حرج. لى مأزق. ولكن لا أنا فى حرج ولا أنا فى مأزق.

وإنما كنت مشغولاً بالمعركة. ولذلك فى أواخر أغسطس قمت برحلة زرت فيها السعودية وقطر وسوريا.

■ وقلت للملك فيصل: يا فيصل.

قال: نعم.

■ قلت له: المعركة قد أعددنا لها كل شىء. وأنا سوف أدخلها هذا العام بإذن الله.

سألني : هل أنت جاهز ؟

■ قلت : جاهز تماماً .

وظللنا نتناقش ساعة . وكان فيصل خائفاً على المعركة وعلى مصير مصر مرة أخرى . ولكني طمأنته تماماً .

ولما اطمأن سألني : وأنت ماذا تريد مني أن أفعله من أجل المعركة ؟ وأنت أخ وصديق فماذا تنصح به ؟

■ قلت : لا شيء . أنت رب البيت . ورب البيت أعلم بما فيه .. أنت هنا الذي تقرر . وكل ما أريد أن أقوله لك هو أنني سوف أبدأ المعركة .

ولم أقل له بعد عن موعد قيام الحرب .. لسبب بسيط وهو أنني لم ألتق بعد بالرئيس حافظ الأسد . فمع الرئيس حافظ الأسد سوف نحدد معاً موعد قيام الحرب .

وأكد لي الملك فيصل مرة أخرى : أنا معك .

■■ وللتاريخ أقرر أن قرار حظر البترول لم أناقشه فيه مطلقاً . ولم يعرض علينا . وإنما هو الذي اتخذ هذا القرار من واقع مسئوليته عن المعركة العربية .

ومن السعودية سافرت إلى قطر وأمضيت يوماً هناك في ضيافة الشيخ خليفة بن حمد وهو يوم لا أنساه ، ولا أستطيع .

وهذه القصة مفاجأة للشيخ خليفة نفسه .

■ وفي قطر سألت الشيخ خليفة : يا خليفة :

قال : نعم .

■ قلت له : هل تذكر من ١٩ عاماً أنني جئت إلى هنا وقدمت لي لحماً شهياً وكنت أيامها ولياً للعهد ..

قال : والله لا أذكر ذلك ..

■ قلت : لعله لحم غزال ..

وعلى العشاء جلس الشيخ خليفة إلى جواري وأخبرني أنه أرسل من يصيد الغزال . وصاده وذبحه وشواه . وأكلت لحماً شهياً لذيذاً . وضحكت كثيراً في تلك الليلة ..

■ وقلت له : أنا لم أقصد أن تأتي لي بلحم الغزال . وإنما أردت أن أذكرك بذلك فقط ..

ولم أشأ أن أذكر له ما أصابني بسبب هذا اللحم سنة ١٩٥٥ .

في هذه السنة زرت قطر كوزير دولة وسكرتير عام للمؤتمر الإسلامي . وكان ذلك أول اتصال لمصر بقطر أو بالخليج . فأنا الذي قمت بهذا الاتصال مع قطر والكويت ودول الخليج .

وكان خليفة في ذلك الوقت ولياً للعهد .. بينما كان عمه الشيخ علي آل ثاني ، حاكماً لقطر ..

وفي اليوم التالي لزيارتي في سنة ١٩٥٥ كان لابد أن أسافر إلى البحرين . ولكن أصابتني دوسنتاريا حادة . وهذه الدوسنتاريا تصيب الإنسان بهبوط شديد . وأحياناً بانهيار عصبي تام . ولم أذكر لخليفة ذلك ..

ولا ذكرت له أن لحم الغزال لا تحتمله معدة أبناء الريف المصابين بالدوسنتاريا الأميبية مثلي . أما أولادي فقد جربوا هذا اللحم ولم يصابوا بأي سوء .

وفي ذلك الوقت من ١٩ عاماً ، استطعت أن أتحمل لحم الغزال .. ولكن مع الارهاق والهموم المتجددة ، لم تستطع معدتي أن تحتمل ذلك هذه المرة ..

ولما وصلت إلى بلودان كانت عندي حالة تسمم تامة . وانسداد للشهية وارهاق شديد .. وانهيار جسمي ومعنوي .

ولقيت الرئيس حافظ الأسد ، وتناقشنا . واستدعينا وزير الدفاع طلاس .. وعرضت عليه ان نبدأ الحرب يوم ٦ أكتوبر الذي اقترحه الفريق عبد الغني الجمسي .

■ وقلت للرئيس حافظ الأسد : ما رأيك في يوم ٦ أكتوبر ؟

قال : موافق .

■ قلت : موافق على يوم ٦ أكتوبر ؟

قال : نعم .

■ وسألت وزير الدفاع طلاس : موافق ؟

قال : موافق .

واسترحت الى هذا القرار ..

وعدت الى غرفتي لأنظر في المرآة فوجدت وجهي قد ازداد تورماً . وسألت الأطباء . ومن عادتي ألا ألجأ إلى الطبيب إلا عند الشدة وهي عادة ربيفية سيئة .

فنحن لا نلجأ إلى الطبيب إلا إذا كانت حالة المريض ميئوساً منها .. لأننا في الريف نرى أن الاحتمال والصبر على المتاعب من أهم صفات الرجولة وأكد لي الأطباء أن الذي أصابني تسمم وأن إصابتي ككثير من أبناء الريف ، بالدوسنتاريا الأميبية ، لم تجعلني قادراً على تحمل لحم الغزال الذي يعيش في الصحراء فلا يجد الماء . ولذلك فهذا اللحم ليس ليناً . ومع ذلك كان لحمه لذيذاً في الفم ناراً موقدة في المعدة !

وفجأة - ولابد أن يكون شيئاً مفاجئاً كل ما له علاقة بالقذافي .. وفجأة جاءت برقية من القاهرة تقول : القذافي وصل !

وتقول البرقية أيضاً : إنه يريد أن يجيء إلى سوريا .

■ فردت قائلاً : لابد أن يستأذن الرئيس الأسد في هذه الزيارة . هذه هي ألف باء الأصول والذوق .

وجاء ما يفيد أن القذافي مُصِرٌ على الحضور .

■ فبعثت أقول له : نصيحتي أن ينتظرني حتى أعود إلى القاهرة .

وكان معي في هذه الزيارة رجلان أرهقهما المشير أحمد إسماعيل بالتدريب والاستعداد . فأخذتهما لكي أخفف عنهما هما : حسني مبارك ومحمد علي فهمي .

وقلت للرئيس حافظ الأسد إن معمر القذافي وصل كعادته وهو مستعجل جداً . واستأذنت الرئيس الأسد في السفر ..

وركبت الطائرة وزاد الورم في وجهي . وانتقل الورم من وجهي إلى جسمي كله .

وطلبت أن أسافر إلى ميت أبو الكوم . ونزلت في مطار عسكري بالقرب من قريتي . وقالوا إن معمر يريد مقابلتي . فطلبت أن يخبروه أني مريض . عندي تسمم وتورم وأني سوف أراه غداً .

والتف حولي الأطباء الذين اكتشفوا حالة التسمم هذه . ورفضوا في نفس الوقت إعطائي أية مضادات حيوية أثناء وجودي في سوريا . وقرروا أن يبدأوا في العلاج عند عودتي إلى مصر .

ووقف الأطباء حولي يقترحون الراحة وأنواعاً من العقاقير ومن الأطعمة ، عندما جاء من يقول : إن الرئيس القذافي وعبد السلام جلود قد وصلا ..!

■■ وأدهشني ذلك : فقد أخبرتهما أنني مريض متورم تماماً ، ومرهق . وسوف أراهما في اليوم التالي .. وتأخرت في النزول إليهما بعض الوقت . وظن القذافي ، أنني تعمدت ذلك ، كما يفعل هو عادة .. وتضايقت لرؤيتهما بنفس القدر الذي سوف يضحك له الشيخ خليفة آل ثاني .. عندما يقرأ هذه القصة التي أرويها لأول مرة !

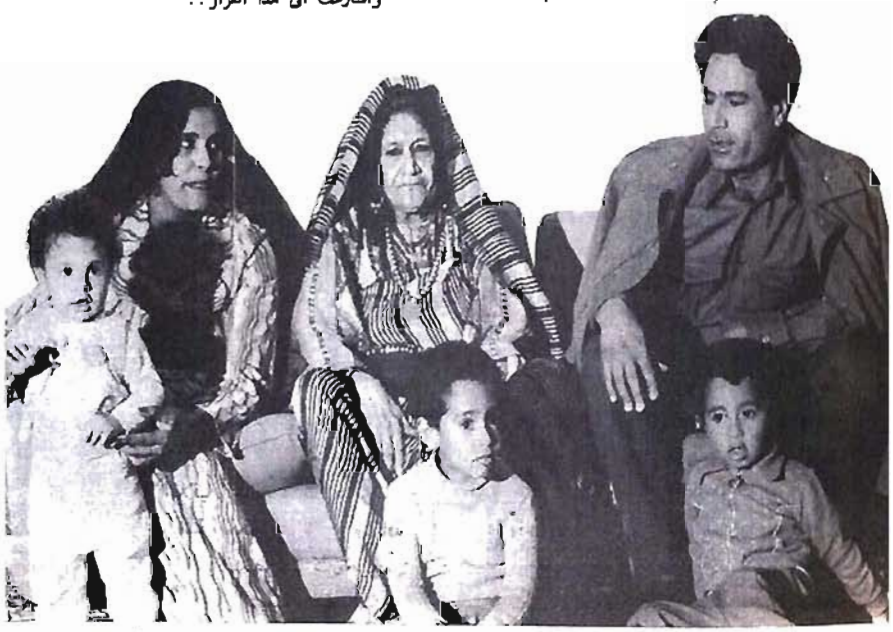

● وبعد أن كشفت القذافي أمام الشعب الليبي ، لم يعد يهدد بالاستقالة والهروب إلى الصحراء .. وجمع زوجته وأولاده ووالدته للسجن بهم إلى القاهرة . لأنه إذا أراد أن يستقيل فليقدم استقالته للشعب هناك ..

نقلب في أوراق السادات الأسبوع القادم إن شاء الله